استدراكات على معجم الشامل

د. ختام سعيد سلمان

ملخص البحث:

تتعرض اللغة في أي مكان، شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، للتطور والتغيير في مختلف عناصرها، وهي تعكس الواقع المعيش، وتستجيب للتغيرات التي تطرأ على العالم المحيط بها، والملاحظ أن اللغة العربية في العقود الأخيرة بدأت تتوجه نحو العالمية، وتُوج هذا التوجّه حين أطلق المجلس االتنفيذي لمنظمة اليونسكو في دورته(١٩٠) نداءً أعلن فيه أن يوم الثامن عشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام، هو اليوم العالمي للاحتفال باللغة العربية، ومقابل ذلك نجد أنّ اللغة العربية بدأت تتراجع في موطنها الأصلي، وعند أبنائها الناطقين بها، وهي تواجه منذ فترة أزمة متعددة الأبعاد، لعل من أهمها المنافسة الشديدة من اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية، وتجلّت هذه المنافسة في توجّه المؤسسات التعليمية في الوطن العربي الى تدريس المواد التعليمية باللغة الإنجليزية، أو الفرنسية(بلاد المغرب العربي)، إلى جانب قطاع الدعاية والإعلان، والقطاعات التجارية والصناعية والخدمات العامة.

وسوف يناقش هذا البحث استعمال اللغة الإنجليزية لغة أولى للتسويق في فلسطين، وتهميش دور اللغة العربية، وقد جنح العاملون في السوق إلى استعمال الأسماء الأجنبية كما هي أو معرّبة، وهذا الشيء كثير ويفوق الحصر في ميادين التعبير الحضارية، كأسماء الفنادق والمطاعم، وأسماء المحال التجارية الراقية.

هذه الظاهرة ليست موجودة حصريا في فلسطين، بل منتشرة في معظم الدول العربية، وقد لفتت كثرة المسميات الأجنبية في الحياة العامة نظر مجامع اللغة العربية؛ التي تعمل على متابعتها بأن تجد بدائل لها في العربية الفصحى؛ للحدّ من سيل الألفاظ الدخيلة التي يستعملها الناس بعفوية وتلقائية أكثر من الكلمات العربية، فهذه الألفاظ مألوفة لدى المستعمل، ولو عمدنا إلى تسميات جديدة لنفر منها الناس؛ لشعورهم أنها غريبة عليهم.

وأخيراً نقول إنّ اللغة العربية في خطر، وأنها بحاجة إلى حماية من هيمنة اللغات الأجنبية، وبث الوعي الجماهيري باحترام اللغة الأم، واستعمال اللغة العربية.

مدخل:

حضر مجلس أبي عبيدة رجل فقال: رحمك الله أبا عبيدة، ما العنجيد؟

قال أبو عبيدة: رحمك الله، ما أعرف هذا!

قال الرجل: سبحان الله! أين يذهب بك عن قول الأعشى:

يوم تُبدي لنا قُتيلة عن جيد أسيلٍ تزينه الأطواقُ

فقال أبو عبيدة: عافاك الله، (عن) حرف جر لمعنى، و(الجيد) العنق.

ثم قام آخر في المجلس فقال: أبا عبيدة رحمك الله، ما الأودع؟

قال أبو عبيدة: ما أعرفه!

قال الرجل: سبحان الله! أين أنت من قول العرب: (زاحم بعود أو دع)

فقال له أبو عبيدة: ويحك! هاتان كلمتان. والمعنى أو اترك أو ذر.

ثم استغفر الله، وجعل يدرس. فقام رجل فقال: رحمك الله، أخبرني عن(كوفا) أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ فقال أبو عبيدة: قد رويت أنساب الجميع وأسماءهم ولست أعرف فيهم كوفا!

قال الرجل: أين أنت من قوله تعالى: وَالهَدىَ مَعكوفًا - سورة الفتح: ٢٤

فأخذ أبو عبيدة نعليه واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته: "من أين حشرت البهائم عليّ اليوم"؟؟؟!! (١)

مقدمة:

في الوقت الذي يحتفي فيه العالم باللغة العربية، ويعلي من شأنها، ويجعلها لغة رسمية في الأمم المتحدة، حالها في ذلك حال اللغات العالمية كالإنجليزية والإسبانية، وتدل الإحصائيات على أن اللغة العربية تحتلّ المرتبة السادسة بين لغات العالم الأكثر تداولاً، وأن هناك نحو مليار عربي ومسلم يتكلمون هذه اللغة، في هذا الوقت تتعرض اللغة العربية لهجوم شديد، وتتهم بالتخلف والجمود، وعدم القدرة على المعاصرة، ومواكبة الحضارة والاستجابة لقانون العرض والطلب، وبدأت تتخلى عن كثير من أماكن تواجدها لصالح اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وظهر هذا في قطاع التعليم العالي، فلم تعد اللغة العربية أداة التعليم العالي أو البحث، على اعتبار أنها لا تصلح لغة للعلم والتكنولوجيا، وأن تقديم هذه العلوم بالعربية يقطع صلة الدارسين بالبحوث العلمية المتطورة.

ولم يقف الأمر عند تعليم العلوم، بل امتد الى مساحات أوسع وأعمق لامست كل حياتنا بأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وامتدت إلى الحياة العامة ولغة الحديث اليومي، وتأثر المواطن العادي البسيط بهذا الوافد الأجنبي، وبدأ يخلط كلامه العربي بمفردات أجنبية مثل: (thanks، sorry، easy، already، shopping،....). وأصبحت هذه الكلمات وأمثالها جزءاً أصيلاً من اللغة، وقد ساعدت وسائل الإعلام وخاصة المرئية على الترويج لظاهرة التغريب على جميع المستويات، ساعدها في ذلك التقنيات الجديدة مثل الحاسوب والهاتف الخلوي، وتضافرت هذه العوامل مع رغبة المواطن العربي، وعملت على دعم انتشار اللغة االإنجليزية وانكماش اللغة العربية وعزلها، ونسينا الدور الذي تلعبه اللغة في حياتنا وحياة كل امة، هذا الدور الذي نوّه إليه حكيم الصين كونفوشيوس منذ زمن بعيد، حين سئل عن صنيعه الأول اذا استلم إدارة البلاد فأجاب: " إنه وبكل تأكيد إصلاح اللغة". وحين سئل لماذا؟ أجاب: "إذا لم تكن اللغة سليمة فما يُفهم ليس هو بالمقصود، وما يستحق الإنجاز لن ينجز، وإذا لم يُنجز ما يستحق إنجازه فإن الأخلاق والفنون يحل بها الانحطاط، وإذا ما انحطت الأخلاق والفنون فالعدالة ستنحرف، واذا ما انحرفت العدالة وقف الناس مضطربين لا حول لهم ولا قوة" (٢).

واقع اللغة العربية في السوق المحلية:

أصبحت القوة اليوم في السوق للغات الأوروبية (الإنجليزية والفرنسية)، بحكم تطورها العسكري والتكنولوجي والاقتصادي والعلمي، وصارت تفرض هذه اللغات على باقي دول العالم بما فيها البلاد العربية، وقد تزايدت وطأة هذا التأثير بفعل العولمة، وانتشار استخدام تكنولوجيا الاتصالات، والإعلام والغزو الثقافي، وكذلك انتشار الشركات المتعددة الجنسيات التي أصبحت تستثمر في كل بقعة من العالم، مُشكّلة بذلك سوق عمل جديدة (٣).

"فالعولمة اللغوية والثقافية واقع معيش وقدر محتوم، فقضية العولمة ليست قضية اختيار فكري، أو ثقافي أو سياسي أو اقتصادي، يمكن أن نقبلها أو نرفضها، بقدر ما هي سؤال عن كيفية التعامل معها واستيعابها، وتحصين لغتنا وثقافتنا لمواجهتها" (٤). فقد تحولت اللغة في عالم اليوم العالم المادي، إلى سلعة ووسيط تجاري، "وباتت تلعب دوراً مهما في صناعة الذوق، اعتماداً على ما تحققه التغذية الارتجاعية لوسائل الدعاية من صور انطباعية، تسهم بقوة في تعميم أنماط ثقافية تمتد إلى كل مجالات الحياة، من لباس ونمط معماري وديكور وفن وأدب،... ومن ثم تكون اللغة قد تحولت إلى قيمة اقتصادية تبادلية واستعمالاتية وخدماتية" (٥).

ما هو السوق؟ السوق أولا هو المكان الذي يُجلب إليه المتاع والسلع للبيع والابتياع، وهذه الكلمة تؤنث وتذكر، قال تعالى: وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً – (الفرقان: ٧). وقد كثرت الأسواق في الوقت الحاضر واتجهت نحو التخصص، وأُطلقت على كلمة السوق الأوصاف التي تدل على طبيعة عملها (٦)، فهناك السوق المالية وهي سوق استغلال الأموال لأجل طويل. والسوق الحرة: وهي سوق يُتعامل فيها خارج البورصة أو الجمرك. والسوق السوداء: وهي سوق يُتعامل فيها خفية هرباً من التسعير الجبري (black market).